إلى الملحدين الأحرار

النسخة الخامسة (2020)

تأليف: ابن أبيه الخالدي

الكون الواسع مدرسة الحياة

حقوق النشر: غير محفوظة للمؤلف.

تاريخ النشر: 24-1-1442هـ الموافق 12-9-2020م.

دار النشر: مدرسة الحياة.

العنوان: الكون الواسع.

المؤلف: ابن أبيه الخالدي.

لمراسلة المؤلف: saherdabo@gmail.com

تعريف بالمؤلف:

ابن أبيه الخالدي هو كاتب حر ... ولد في مكانٍ ما في عامٍ ما، وتوفي في مكانٍ ما في عامٍ ما ... يبحث في المنطق الصحيح ... عن العقل السليم ... يبحث في أسرار الكون الخالدة ... عن سر هذا الوجود ... عاش حينا من الدهر ... يبحث عن الحقيقة... وقد وجدها.

المحتويات

إهداء 3

الفصل الأول والأخير: الصفات الشخصية للملحد... 5

المشهد الأول: الصدق أم الكذب 7

المشهد الثاني: الكرم أم البخل.. 10

المشهد الثالث: والأخلاق الكريمة والعفّة أم النذالة 15

المشهد الرابع: الشجاعة أم الجبن 18

المشهد الخامس: الوفاء أم الخيانة 22

المشهد السادس: العمل التطوعي ومساعدة الغير أم الأنانية وحب الذات........... 24

المشهد السابع: الظلم أم العدل... 28

المشهد الثامن: الحِلم أم الغضب 29

المشهد التاسع: الصَّبر أم القلق.. 30

المشهد العاشر: بر الوالدين أم بر الذات.. 32

المشهد الحادي عشر: إيثار أم أنانية ..تواضع أم استعلاء!............................ 33

المشهد الثاني عشر: العقل ذكاء أم غباء 35

المشهد الأخير: ختام القول 37

إهداء

إلى كل ملحد صادق ... إلى كل ملحدة صادقة ...

إلى جميع أحرار العالم ...

إلى المؤمنين والمؤمنات الحيارى ...

إلى صاحب وصاحبة الهوى الرفيع ...

إلى صاحب وصاحبة العقل الحر ...

إلى النفوس الحائرة ... الباحثة عن الحقيقة ...

هذا الكتاب سيفتح لكما آفاق المعرفة ...

سيضفي على شخصيتيكما ... الكمال والجمال ...

هذا الكتاب عبارة عن مسرحية شرسة ...

نعم من فصل واحد ...

لكن مشاهد عدة ...

إلى جميع ملحدي العالم ... الأحرار

أهدي هذا الكتاب.

هذه الصفحة ليست فارغة ...

إنما هي مساحة واسعة ...

للتفكير المنطقي الحر

دع القلق واختر الطريق الصحيح...

وتخلص من الحيرة التي بداخلك ...

الفصل الأول والأخير: الصفات الشخصية للملحد

في هذا الكتيب، أتحدث عن بعض الصفات الشخصية ... للشخصية الملحدة... الحرة... ذات التفكير العقلاني ... المعتمد على المنطق الحر ... فقد تخيلت هذه الشخصية مدة من الزمن لا بأس بها، تعايشت مع هذه الشخصية حلوها ومرها ... وعايشت أشخاص كان بيننا عوامل مشتركة – إن كان هناك إيمان مشترك يربط الملحد مع غيره من المؤمنين - وأقصد بهذه الشخصية هي الشخصية الملحدة بنقاء ... الشخصية التي لم تلحد لسبب من الأسباب التافهة كالشهوات الجنسية أو الكسل عن عمل ما، مما يطالبك به من حولك ممن يؤمنون بوجود خالق معبود ويؤمنون بوجود حياتين، الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

فالمقصود بكلمة الملحد الحر هنا هو الملحد الذي لا يؤمن ألبتة بوجود خالق لهذا الكون أو معبودٍ يستحق العبادة ... ولا يؤمن بوجود بعث أو حساب أو أي شكل من أشكال العودة بعد الموت لحساب أو عقاب ... الملحد الذي قاده تفكيره إلى التحرر من كل تفسير للحياة أورده دين أو فكر ... غير دين اللاشيء.

وقد حرصت على جعل هذا الكتيب عبارة عن مسرحية مكونة من فصل واحد فقط، فالملحد يفترض بأن لديه حياة واحدة، وعدد من المشاهد تتكلم عنك ... عن صفاتك الشخصية ... تتحدث عن الصدق والكذب ... عن الكرم والبخل ... عن العفة والأخلاق وعن الأخلاق المرتبطة بالمصلحة ... عن المبادرات التطوعية ومساعدة الآخرين وعن حب الذات... عن الشجاعة وعن الجبن ... عن الوفاء بالعهود وعن الخيانة ... عن الظلم أم العدل ... عن الحلم أم الغضب ... عن الصبر والقلق ... عن بر الوالدين أم العقوق ... عن الإيثار أم الأنانية ... شكر أو تقدير، فهما لا يعنيان شيئا لك ... عن العقل الفطري ... والذكاء الخارق ... وعن الغباء ... عن الأخلاق أم اللا أخلاق.

فهلم نبحر معاً في أمواج الصفات الشخصية المختلفة... ونستعرض بعض التساؤلات التي حيرتني ... وربما حيرتك أنت أيضا ... ونتعرف على الصفات التي يمتلكها الملحد الحر وعلى الصفات التي يفتقدها ... وقد حرصت على تنويع مصادر الحكم على هذه الصفات، أقوال وآراء من الشرق والغرب ومن الشمال والجنوب ... من الحكماء ومن الدراويش... أقوال وآراء من السماء والأرض.

دقات قلب المرءِ قائلةٌ له ... إن الحياة دقائقٌ وثوانِ

أيها الحائر في كل الورى ... جدد الروح بأرضٍ أو سما

*****

المشهد الأول: الصدق أم الكذب

هناك حكمة قديمة تقول: إن (الصدق هو أن تقول الحق في وقت لا ينجيك إلا الكذب). وهناك حكم أخرى قالها بعض القدماء، يقول أرسطو اليوناني: أحسن الكلام ما صدق فيه قائله، وانتفع به سامعه، وإن الموت مع الصدق خير من الموت مع الكذب. وبعض الحدثاء، يقول العقاد: إذا عجز القلب عن احتواء الصدق عجز اللسان عن قول الحق. ودين المسلمين جاء يحث على الصدق حتى قرن ذلك بالإله في قوله: (إن الله مع الصادقين).

واعتاد الناس (جميع الشعوب) منذ الأزل على اعتبار الصدق صفة شخصية هامة جدا خاصة عند التعامل مع الآخرين، سواءَ عند الحديث، أو عند البيع والشراء، أو عند جميع التعاملات الإنسانية. أجلّها الصينيون ... والهنود ... أجلّها الأفارقة ... أجلها اليونان وقدسوها ... أجلها الرومان والفرس ... كما أجلها وأحبها العرب القدماء وكانوا يتفاخرون بالصدق ولو أدت هذه الصفة إلى فقد حياتهم، وحرصوا جميعا على أن لا يؤثر عن أحدهم الكذب أو النفاق. كذلك جاءت جميع الأديان، سواء ما يقال عنها سماوية أو بشرية لرجال كانوا نموذجا وقدوة لشعوبهم – التي لا تؤمن بها طبعا شخصية الملحد – جاءت جميعها تحث على الصدق ... وأن الصدق هو صفة يجب أن تتحلى بها الروح الإنسانية كي يقودها إلى صفاء النفس ونقائها. تميَّز العرب قبلَ الإسلام بالصدق، ونفورهم من الكذب، حتى أن أحدهم –يدعى محمد بن عبدالله – لقب بالصادق الأمين، كذلك لقب صاحبه –يقال له أبو بكر الصديق - لقب بالصّدّيق لتميزه بهذه الصفة لما لهذه الصفة من أهمية عند العرب ولإجلالهم لمن يحمل هذه الصفة. كذلك كان هناك رجل يدعى أبو سفيان وكان يكره محمدا ولا يؤمن برسالته، كان يومًا بهرقل عظيم الرّوم فسأله بعض الأسئلة عن محمد وعن صفات محمد، فصدقه القول ولم يكذب في ذلك على الرّغم من عدواته للإسلام، صدق حتّى لا يؤثر عنه الكذب بين العرب.

فالعربي الأصيل وحتّى قبل الجاهليّة كان يحرص على الصّدق حتّى لا يقال بين العرب أنّه كاذب. إن العرب كانوا يأنفون من الكذب، ويستنكر أحدهم أن يكون كاذبًا، فيأتي دين الإسلام بعد ذلك ليؤكد على هذه الصفة ويجمل ويحسن ويعظم قيمة الصدق عند الصادقين، ويربط الصدق بالجنة الموعودة للمسلمين، وبرضا ربهم -الله - لكن في النهاية كان الصدق مغروسًا بداخلهم، ولم يكن من الممكن للعربي أن يكذب حتى ولو أودى ذلك بحياته.

لكن إن نظرتُ للصدق – كملحد – فسوف أرى بأن هذه الصفة يجب أن يحذر منها الملحد ... فالملحد تهمه جدا حياته ... فهي لا تتكرر إن فقدها ... وهي جل ما يملك ... لذا فهذه الصفة ليست متأصلة في الملحد، حيث جل ما يهمه وبالدرجة الأولى هي حياته الحالية ... فإن كان الصدق سيجلب له مصلحة عاجلة أم آجلة فسيقبل بأن يكون صادقا، أما إن كانت هذه الصفة ستؤثر على مصالحه، فهي ليست من صفاته، ومرحى بالكذب. فأخلص في كلامي هذا إلى أن صفة الصدق ليست من صفات الملحد، بل لن تكون في قاموسه، وسيكون المحك في الصدق والكذب لديه هي المصلحة الشخصية فقط. فلن ينظر الملحد إلى قول أرسطو ...

ولن ينظر الملحد إلى قول العقاد ...

ولن يهمه قول تشي جيفارا حين قال: (أنا لا أندم على صراحتي مع الآخرين، فالعيش بوجهين أمرٌ مقرف) ...

وتباً لأفلاطون حين قال: (أكثر شخص مكروه عند الناس هو الذي يقول الحقيقة).

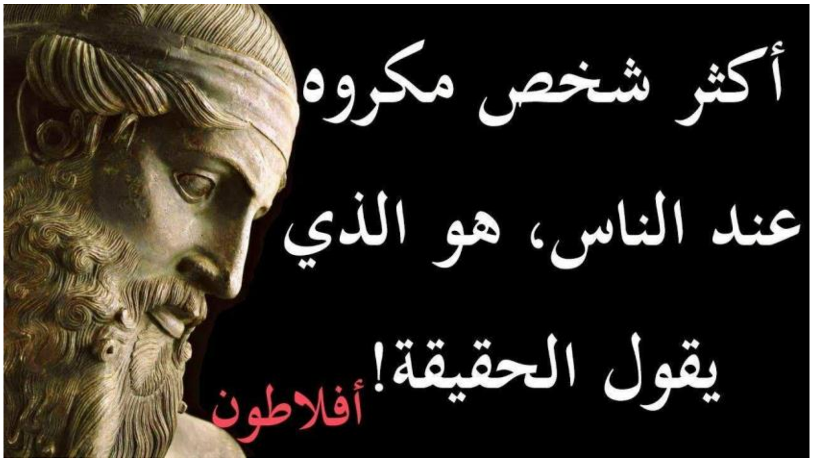

هذا مجمل العلاقة بين (الملحد) وبين ما يسمى (الصدق) و (الكذب)، وسيضل يعيش حائرا قلقا بين الصفتين، حسب المصلحة ...

*****

المشهد الثاني: الكرم أم البخل

إن كلمة "generosity" (سخاء) الإنجليزية الحديثة مشتقة من الكلمة اللاتينية generōsus، بمعنى "من أصل نبيل"، والتي انتقلت هي نفسها إلى اللغة الإنجليزية من الكلمة الفرنسية القديمة generous. وأصل الكلمة اللاتيني -gener هو الأصل الإعرابي لكلمة genus بمعنى "نسيب" أو "عشيرة" أو "عرق" أو "سلالة"، بينما يعني أصلها الهندي الأوروبي "gen" أن "تنجب". ونحصل من نفس الأصل على الكلمات genesis (أصل) وgentry (طبقة) وgender (الجنس) وgenital (تناسلي) وgentile (وثني) وgenius (نابغة) وغيرها من الكلمات الأخرى.

وتعكس معظم استخدامات اللغة الإنجليزية المسجلة لكلمة "generous" (سخي) وصولاً إلى القرن السادس عشر وخلاله معنى أرستقراطي يشير إلى كون الفرد من سلالة نبيلة أو أصل رفيع. وأن تكون سخيًا هو حرفيًا طريقة للتطابق مع النبل." ومع ذلك، خلال القرن السابع عشر، بدأ يتغير معنى الكلمة واستخدامها. وأصبحت كلمة "السخاء" لا تعرف إرثًا عائليًا حرفيًا، ولكن يعتقد أن نبل الروح يرتبط بالأصل الرفيع- أي بالعديد من الخصال الرائعة التي ربما تتباين الآن من شخص لآخر، وهو ما لا يستند إلى تاريخ العائلة، ولكن إذا ما كان يتصف الشخص بتلك الصفات فعليًا. وبهذه الطريقة، زاد استخدام كلمة "السخاء" في القرن السابع عشر بمعنى مجموعة متنوعة من الخصال الشخصية وأفعال ترتبط تاريخيًا (سواءُ أكان ذلك صحيحًا أم لا) بأمثلة النبل الحقيقية: الشهامة والشجاعة والقوة والغنى والدماثة والإنصاف. علاوة على وصف هذه الخصال البشرية المتعددة، أصبحت تستخدم كلمة "generous" خلال هذه الفترة لتصف الأرض الخصبة وقوة سلالات الحيوانات ووفرة المواد الغذائية وسطوع الألوان وقوة المشروبات وفعالية الدواء.

بالرغم من ملازمة مصطلح السخاء في الغالب لكلمة الخيرية، ففي نظر العامة يرغب العديد من الناس في الحصول على تقدير على أفعالهم الخيرة. ومع أن التبرعات لازمة لدعم المؤسسات واللجان، من وجهة نظر غير الملحد، فلا ينبغي أن يقتصر السخاء على أوقات الحاجة الشديدة، مثل الكوارث الطبيعية والحالات القصوى. لا يعتمد السخاء على الحالة الاقتصادية للفرد فقط، ولكنه يضم أيضًا النوايا النقية للفرد والمتعلقة بالبحث عن الصالح العام للمجتمع والعطاء من القلب، وينبغي أن يعكس السخاء شغف الفرد بمساعدة الآخرين.

في البوذية، يمثل السخاء أحد الفضائل العشرة وترياق لـلاسم الذي يختاره المرء لنفسه المسمى الجشع. واشتهر العرب قديمًا بالكرم والسّخاء حتّى رويت في ذلك القصص والحكايات الكثيرة، فقد كان حاتم الطائي أحد من تميّزوا بالكرم والسّخاء الشّديد قديماً، وممّا يروى عنه أنّه كان إذا أتاه عبده بضيفٍ من الأضياف أعتقه مكافأةً له على ذلك، كما أنّه ذبح يومًا خيله النّفيسة وقدّمها طعامًا لضيوفه حينما لم يجد ما يضيّفهم به، وهذا من وجهة نظري كملحد غباء، ومن الشّخصيات التي اشتهرت بالكرم أيضًا من العرب عقبة ابن أبي معيط الذي يعتبر أحد وجهاء قريش وألدّ أعداء الدّعوة الإسلاميّة؛ حيث كان يولم لكبراء قريش في كلّ مرّة يرجع فيها من أسفاره. وهيَ إحدى الصفات المُتأصِّلة في العرب قَبل الإسلام، فقد كانوا يُكرمونَ الضيف بحُسن الاستقبال، والطعام، وقد كانوا يُوقِدونَ النار في الليل؛ حتى يستدلَّ المسافرونَ على بيوتهم، حيث كانَوا يطلقون عليها اسم "نار الضيافة".

كان الكرم والسخاء من أهم الصفات التي حرص العربي على التحلي والتفاخر بهما، وذم البخل وعير صاحبه، وكان لبيئتهم وظروفهم أثرا بالغا في تدعيم هذه الصفة عندهم، ففي كثير من الأحيان قد يجد العربي نفسه في اثناء سفره وترحاله وحيداً في وسط صحراوي جدب وصحراء قاحلة لا ماء ولا طعام وليس إلا السماء والأرض عندئذ لا يكون أمامه مفر سوى النزول ضيفا على أهل الخيام المتناثرة، وهنا يكون استقبال الضيف واكرامه مسألة

حياة أو موت، وكان التقاعس عن القيام بواجب الضيافة يعنى تعريض حياة الضيف لخطر الموت جوعا وعطشا، ولذلك فقد اصبح إكرام الضيف والقيام بحقه واجبا من واجبات الجاهلية، وكانت مدة الضيافة ثلاثة ايام، وبعدها ينتهى حق الضيف إلا إذا جدد المضيف هذا الحق.

وكان من أشهر أجواد العرب حاتم الطائي الذي كان يضرب به المثل في الكرم والجود من صغره حتى يقال إنه خرج يوما يراعي إبله وغنمه، مر به بعض الشعراء مثل النابغة الذبياني وغيره، فأكرمهم وأحسن ضيافتهم، وقبل انصرافهم فرق عليهم غنمه وإبله، حيث لم يكن يفكر تفكير الملحد، فلما علم أبوه بذلك غضب عليه، فربما كان أبوه ملحدا، وقال: إذن لا أساكنك بعدها آبداً ولا آويك؟ فقال: لا أبالي. ومما يذكر له أيضا أنه إذا أهل شهر رجب نحر كل يوم بعضا من إبله، وأطعم الناس، وكان إذا اشتد البرد أوقد ناراً حتى يهتدى بها الضال والمسافر والغريب فيجدون عنده المأوى والطعام وفي ذلك يقول لعبده:

أوقد فإن الليل ليل قُر ... والريح يا واقدُ ريح صرُ

عسى يرى نارك من يمر ... إن جاءنا ضيفُ فأنت حُر

وكانت في داره قدور كبيرة الحجم لا تنزل عن الآثافى والنار أبدًا، لكثرة ضيوفه والمترددين عليه، وحكي عنه أيضا أنه اجتاز يوما في سفره على جماعة، وفيهم أسير فاستغاث به فاشتراه منهم، وقام مقامه في القيد والأغلال حتى أدى ما عليه من ثمن الأسير. وكان من كرم العرب أيضا أنهم كانوا يتحملون الديات العظيمة، يدفعونها من أموالهم عن طيب خاطر حقنا للدماء، وإيثاراً للسلامة، وتخفيفاً عن ذوي العسرة من أبناء قبائلهم، وكانوا يتنافسون في ذلك ويعتبرونه من دلائل الشرف، وعلامات السيادة، وقد عبر عن ذلك الأخنس بن شريق فقال " تنازعنا نحن وبنو مناف الشرف أطعموا الطعام فأطعمنا، وحملوا الديات فحملنا، وأعطوا فأعطينا فكنا كفرسي رهان".

جاء الإسلام فأقر هذا الخلق (الكرَم)، واعتبره خلقا كريما، وشجع على البذل والسخاء، وحث على إكرام الضيف، وحذر من البخل ونفر من الشح (... اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم)، إلا أنه جعل إخلاص النية لرب العالمين يرتفع بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعله عبادة متقبلة. بل جعل البر مرتبط بالإنفاق ونزل بذلك قرآنا من ربهم يتلى: (لَن تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ). فأصبح الجود والسخاء من أبرز صفات المسلمين طوال القرون واشتهر أجواد في الإسلام أنسوا الناس ذكر حاتم الطائي وابن سعدى وكعبة بن مامة وغيرهم مثل النبي محمد بن عبدالله وصحبه أبوبكر وعثمان وعبدالرحمن بن عوف وأجواد الحجاز الثلاثة: عبيد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وسعيد بن العاص.

مما سبق يتبين لنا أن العربي كريم في جاهليته، جواد سخي في إسلامه، على اختلاف الدوافع والنوايا. أما أدعياء الحضارة الحديثة فلا يفهمون هذه القيم، كذلك من يصنف نفسه على أنه ملحد لن يهتم إلا لمصلحته الخاصة، فالأنانية طاغية، رغم كثرة الأموال، لكنه الهلع من شبح الفقر، والخوف على فوات الملذات. السخاء هو عادة العطاء دون توقع أي شيء في المقابل. ويمكن أن يتضمن بذل الوقت أو الأموال أو المواهب لمساعدة شخص محتاج. وغالبًا ما يتساوى مع الإحسان باعتباره فضيلة، ويحظى السخاء بقبول واسع في المجتمع كصفة مرغوبة. وفي أوقات الكارثة الطبيعية، كثيرًا ما تقدم جهود الإغاثة، طوعًا، من قِبل أفراد أو مجموعات تعمل من جانب واحد لتقديم هبات من الوقت والموارد والبضائع والأموال، وغيرها. ويعد السخاء مبدأً إرشاديًا للعديد من المنظمات الخيرية والمؤسسات والمنظمات غير الربحية المسجلة. قد يكون السخاء أيضًا إنفاق الوقت أو المال أو العمل على الآخرين دون الحصول على شيء في المقابل.

في الإسلام يذكر القرآن الكريم أن ما يمنحه الشخص المسلم للآخرين بسخاء ابتغاء مرضاة الله، فإنه سيعوضه عنه. فقد ورد في القرآن: (قل إنّ

ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه. وهو خير الرازقين) (سورة سبأ، الآيات 34:39). بل حث القرآن على البذل والإنفاق وإطعام الطعام دون انتظار شكر أو تقدير من الفقراء أو المحتاجين، حيث ورد في القرآن: (إِنَّمَا نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللَّهِ ... لا نُرِيدُ مِنكُم جَزَاءً ولا شُكُوراً) [الإنسان: 9]. أما لو تحدثت باسم الملحد، فلماذا أطعم لوجه الله حيث أنكر أصلا وجود الله، ولماذا أطعم الفقراء أو المحتاجين من طعامي أو أنفق من مالي بغية الشكر، لأن الشكر غير موجود في قاموسي، فالشكر لا يؤكل عيشا، فأنا كملحد إن أعطيت بيدي اليسرى فلابد أن أضمن بأن آخذ بيده اليمنى أكثر مما أَعطيت، وإلا فلن تكون هذه الصفة، صفة الكرم والجود، من صفاتي أبدا... وحتى لا أقع في التناقض مع مبادئي، لن أهتم بفقراء العالم ... أبدا ... وتعساً لهم ...!!

الرجل الشهم هو الذي يقف مع الآخرين بكل تحدي، ويدعمهم، ويشجعهم على تحقيق طموحاتهم، ويساعدهم في الخروج من المشاكل التي يواجهونها بشهامةٍ وعزم. هذه الصفة تكون على حساب الوقت أو المال أو الجهد، وطالما لن يجني الملحد شيئا فلن يكون شهما، حيث الشهامة ليس لها معنى عنده ما دام لن يجني منها أرباحا.

*****

المشهد الثالث: والأخلاق الكريمة والعفّة أم النذالة

في كتاب مشهور هو (كتاب الحوار) قبل 2561 عام تقريبا سئل الفيلسوف الصيني الأولى كونفوشيوس عن صفات الرجل الكامل الخَلُق؟، فأجاب: "هو من يجعل الصواب قوام عملـه، ويفضله على الآداب، ويُظهِره بالتواضع، ويُتِمّه بالإخلاص، ومن كان هذا حاله فهو إنسان كامل الخُلُق." وعندما سُؤل عن المؤدب قال: "إذا اتخذ المرء الأمانة والصدق مذهبا له، ولم يتردد عن تصحيح خطئه، ولم يصاحب من هم دونَه علما وفضلا، فهو مؤدب". ومن وصفِه للإنسان الفاضل: "الفاضل مؤانس غير مخادع. وناقص التربية مخادع لا مؤانس." وقال يصف ذوي الأخلاق الحسنة: "كامل الأخلاق يَسيرةٌ خدمته، لكن عسير رضاه، فإن حاولت أن ترضيه بغير الحق، لن يرضى. أما سيئ الخُلق، فعسيرة خدمته، لكن يسير إرضاؤه. فهو يرضى بغير الحق، وإذا استخدم الناس، حاول استغلالهم بالكامل." ومما قاله حول الإنسان الكريم الأخلاق: "هو من إذا رأى الربح، يفكر في الحلال. ويضحي بنفسه إذا اقتـضى الكرمُ المخاطرة. ولا ينسى عهده مهما طالت المدة."

يقسم الحكماء العفة إلى عدة أقسام: عفة النفس، وعفة العين، وعفة الجسد، وعفة اللسان، وعفة اليد، وعفة البطن. وجميع هذه الصفات المذكورة تحجب الملحد عن رغبات نفسه، فهو يرغب في النظر إلى كل شيء حسن، ويرغب في التمتع الجسدي، ويرغب في قول ما يجول في خاطرة –ما لم يكن هناك خطر عليه فيما يقول- مهما جرح ما يقول شعور الآخرين أو أوقعهم في مصائب، كذلك لن أتردد كملحد بالسرقة إن ضمنت السلامة، ولن أتردد في أكل مال الآخرين إن ضمنت لي السلامة من العقوبة. ويمكن تعريف الأخلاق الكريمة على أنها صفة في النفس تظهر آثارها في الكلام والسلوك العملي والمظهر الخارجي والصحبة المختارة وهي الجمع بين صفات شخصية عديدة متميزة ومحمودة لدى الآخرين. وتعرف الأخلاق الحسنة على أنها من الأمور المهمّة التي لا يستغني عنها أيّ مجتمع، أو جماعة، أو فرد،

فلا يستقيم التواصل والاتصال بين النّاس على نحوٍ سليمٍ، ولا تنتظم العلاقات على تنوّعها دون الأخلاق الحَسنة، فإذا انعدمت أو تخلّف النّاس عنها وعن التحلّي بها، وقع المجتمع برُمّته والنّاس كلّهم في حرجٍ، وتأثّرت حياتهم تأثّراً بالغاً. والأخلاق من وجهة نظر علم الاجتماع هي مصطلح مُشتَقّ من الكلمة اللاتينيّة (موس)، ويُقصَد بها التقاليد والأعراف، والأخلاق وفْقاً لهذه النظرة هي التصورات والتمثّلات التي تساعد البشر على إدراك الخير والشّرّ، وإدراك ما هو صحيح وما هو خاطئ. وتُقسَم الأخلاق في النّظرة الفلسفيّة بوجهٍ عامٍ إلى أخلاقٍ نسبيّةٍ؛ يُراد بها مجموع قواعد السّلوك الخاصّة بمجتمعٍ معيّنٍ، وتختلف من مجتمعٍ لآخر ومن زمانٍ لآخر، أمّا الأخلاق المطلقة فهي مجموع قواعد السّلوك الثّابتة التي تصلح لكلّ زمانٍ ومكانٍ. إذن، فالأخلاق هي عبارة عن مجموعة متعددة من الصفات الشخصية المتداخلة، مثل: الصدق، الأمانة، الحلم، الأناة، المروءة، الشجاعة، الوفاء، الصبر، المودة. أما حسن الجوار فربما تعني التعامل الحسن والمميز مع من حولك. كانَ العرب يُؤدّونَ حقّ الجار كجزءٍ من خِصالهم النبيلة التي كانوا يحرصونَ عليها، فكانوا يُقدِّمون الحماية، والإغاثة لجيرانهم، ويَعدّونه جزءاً من شَرَفهم. فمن صفات الرجل العربي العفّة وطهارة النفس وترفّعها عن الدنايا، فعلى الرّغم من أنّ العرب فيما يسمى الجاهليّة كانوا في عمى وضلالٍ مبين، إلاّ أنّهم عرفوا كثيراً من الأخلاقيّات، فهذا عنترة بن شدّاد له بيتٌ من الشّعر عبّر فيه عن كريم أخلاقه وعفّة نفسه حينما قال:

وأَغُضُّ طرفي ما بدَتْ لي جارَتي   حتى يُواري جارتي مأْواها

ويقول قائل آخر:

وما قتل الأحرار كالعفو عنهمُ ... ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

واعتبرت بعض الأمم أن الأخلاق هي ما يبقيها قائمة، حتى قال شاعرهم:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

حتى عصابات المافيا وعصابات المجرمين اعتمدوا لهم عادات وأخلاق يتمسكون بها ويتعاملون مع بعضهم البعض على أساسها، بل قد تحترمها وتتعاطف مع جرائمها البشعة بسبب أخلاقها ومبادئها الثابتة. أما في رأيي كملحد، فالعفة قد تفوت على نفسي بعض اللذة، والأخلاق الكريمة قد تسلب مني بعض ما أملك، وحسن الجوار قد تجعل الجار يتجرأ على بعض أملاكي، وحيث أن لذتي آنية فليس لدي أي استعداد بأن أفوت على نفسي متعة من المتع، حتى ولو كانت على حساب الآخرين، شريطة أن أضمن السلامة من العقاب. إذن فهذه الصفة ليست من صفات الملحد ... ولا يؤمن بها ... لتعارضها مع بعض مصالحه.

*****

المشهد الرابع: الشجاعة أم الجبن

الشجاعة تساوي القدرة: يقول أرسطو: «لا توجد عبقرية عظيمة من دون لمسة جنون». عليك أن تكون مجنوناً بعض الشيء لتحقق النجاح، فالعبقرية والجنون وجهان لعملة واحدة. ويقول أرسطو أيضاً: «لا يمكنك فعل شيء في هذا العالم من دون تحليك بالشجاعة». كانت الشجاعة صِفة غريزيّة في كلّ عربيّ، إذ كانَ العربيّ يمتلك قوّةً تدفعُه إلى القتالِ دون خوف، ونصرة المظلومِ دونَ تردُّد، وقد ساعدَت ظروف حياتهم البدويّة على التأهُّب لأيّ خطرٍ قد يصيبهم، فلمّا جاءَ الإسلام، قوَّم هذه الصِّفة؛ فأمرَ بكَفّ الأيدي عن الاعتداء على الآخرينَ دونَ وجودِ سببٍ للقتال.

وقد فسر ابن خلدون السبب في ذلك فذكر في مقدمته تحت عنوان " أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من أهل الحضر " فيقول " والسبب في ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة، وانغمسوا في النعيم والترف، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم، واستناموا إلى الأسوار التي تحوطهم، والحزر الذي يحول دونهم، فلا يهيجهم هيعة، ولا ينفر لهم صيد، فهم آمنون قد ألقوا السلاح، وتوالت على ذلك منهم الأجيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على أبى مثواهم حتى صار ذلك خلقا يتنزل منزلة الطبيعة وأهل البدو لتفردهم عن المجتمع، وتوحشهم في الضواحي، وبعدهم عن الحامية وانتباذهم الأسوار والأبواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم ولا يقضون فيها بغيرهم فهم دائما يحملون السلاح، ويتلفتون عن كل جانب في الطرق، يتجافون عن الهجوع إلا غراراً في المجالس، وعلى الرمال وفوق الأقتاب، ويتوجسون للنبات والهيعات، ويتفردون في القفر والبيداء، مدلين ببأسهم، واثقين بأنفسهم، قد صار لهم البأس خلقا والشجاعة سجية يرجعون إليها متى دعاهم داع، أو استنفرهم

صارخ، وأهل الحضر مهما خالطوهم في البادية، أو صاحبوهم في السفر عيال عليهم لا يملكون معهم شيئا من امر أنفسهم.

وقد اتّسم العرب بصفات البطولة والشّجاعة حتّى إنّهم كانوا يعيبون على بعضهم الفرار من المعارك ويعتبرونها سبتة على المرء لا تزول بزوال الأيّام، وقد كان الرّجل منهم يتمنّى الموت في خضم المعارك وفي ساحات الوغى حيث مظنّة التحام الصّفوف وضرب الأسنة والرّماح. فقد اشتهر الرجل العربي بالفروسيّة والشّجاعة، ولقد ارتبطت صورة الرجل العربي في التّاريخ بالرجل الذي يحمل السّيف ويمتطي الجواد للدّفاع عن نفسه وعشيرته وأرضه ضدّ المعتدين. فقد كانَ العرب قبلَ الإسلام يرفضونَ العيش بذلّ، ويعتزّون بحرّيتهم، ويرفضون الظُّلمَ. حيثُ لا يقوى على غزو عشيرته أحد، وإن حصل بالفعل لقي المُعتدين ردّاً قاسياً، تحكي فيه القبائل، وتتباهى فيه ألسن الشعراء.

كانوا لا يقبلون ذلا ولا هوانا، ولا يقيمون على الضيم، فكانوا إذا تعرضوا هم أو حلفاؤهم لأي إهانة استلوا سيوفهم، وبادروا إلى خيولهم، وصاحوا في أبواقهم وأشغلوها حروبا ضروساً، ولو ضحوا في ذلك بأنفسهم، وكان يؤجج من ذلك ما عرف عنهم من سرعة الانفعال، وفورة الاعصاب ولا شك أن هذه النزعة عند البدو أشد وأقوي منها عند الحضر.

فهل سأحارب دفاعا عن بلدي وما أؤمن به وأموت في سبيل ذلك؟ أم سألوذ بالفرار كي تسلم نفسي من الموت؟ فتباُ لجيفارا حين قال: لا تكن محايدا في حب بلادك ... كن متطرفا حتى الموت) ... فلن أحارب وسأبقى محايدا إلا إن ضمنت لي حياة ... أي حياة ... حتى وإن قال تشي جيفارا: (لا تكن محايدا في حب بلادك، كن متطرفا حتى الموت)، فالملحد لن يضحي بنفسه لا لبلاده ولا لغيرها، فهو يرى بأن نهاية حياته تساوي صفر.

وسحقا للفيلسوف كونفوشيوس حين قال: (جبانٌ من يرى الحق ولا يسانده) ...

فكيف يريدني أن أساند الحق إن لم يترتب على هذه المساندة مصلحة شخصية ...

من وجهة نظري الإلحادية، الشجاعة هي مجرد تصرف أحمق قد تقود صاحبها إلى الموت والهلاك، وبهذا يتلاشى من الكون إلى الأبد، فيجب إذن على الملحد أن يحذر كل الحذر من الشجاعة، ولا يأنف من إذلال أحد له كي يسلم من أذاه، فيا روح ما بعدك روح، وعزة النفس قد تُفقد الملحد مصلحة في حياته الفريدة. إذن فأنا كملحد يجب ألا أمتلك مما ذكر من أخلاق إنسانية شيئا، فلن أؤمن بشجاعة تهدد حياته، بل سأكون أجبن من الثعلب، ولن أتحلى بأنفة تودي بحياتي ولا بعزة نفس تفوت على نفسي الوحيدة منفعة آنية أو مستقبلية ... هل هذه الصفة إيجابية أم سلبية؟ ... أترك لك الخيار ... فلا تحتار.

؟ ؟ ؟

*****

المشهد الخامس: الوفاء أم الخيانة

الوفاء هو عكس الغَدْر، والكذب، حيث كانَ معظم الشعوب ومنهم العرب يُحافظونَ على عهودهم، ويُثنونَ على الوفيّ، ويُشهِرونه، ويرفضون الغدر، وخيانة الوعود. من صفات العربي الأصيل أنّه لا يغدر حتى بعدوّه، ولا يلجأ للخديعة، بل يواجه الطرف الآخر بكلّ بسالة، إذا ما قطع على نفسه عهداً التزم به، وكان أعزّ عليه أنّ يُجزّ رأسه عوضاً عن عدم وفائه بها. وكان يهون في نظر العربي كل نفيس وغالي للحفاظ على عهده، واحترام وعده، ولم تكن الاتفاقيات والأحلاف والتجارات والأمانات موثقة أو مكتوبة، وإنما كانوا يعتمدون على الكلمة أو العهد الذي اكتسب قوة ونفاذاً مع حرص العرب على الوفاء به، خاصة وأن نقضه كان يعرض القبائل والأفراد للمعرة والمنقصة، وقد تعددت صور ونماذج وفاء العرب بعهودهم إلى حد يثير الإعجاب. ومن ذلك ما حدث مع هانئ بن مسعود الشيباني الذي صمد أمام الإمبراطورية الفارسية ولم يأبه لكسرى ولا تهديداته حفاظاً على وعده الذي قطعه على نفسه بحماية أهل النعمان بن المنذر وأمانته.

كما ضرب السموْال بن عاديا مثلاً أخر في الوفاء بالعهد، فيقال "أوفى من السموْال" وذلك عندما أودع امرؤ القيس عنده دروعاً وسلاحًا، وذهب إلى قيصر يستجد به على أعدائه، واستغل هذه الفرصة الحارث بن شمر الغساني فطلبها من السموْال وأصر على انتزاعها منه، ولكنه أبى وتحصن بقصره في تيماء، وكان ابنه خارج القصر، فأخذه الحارث الغساني رهينة عنده، وأخذ يساومه، وهدده بقتل ابنه إن لم يستجب لمطلبه، إلا أن السموْال ظل محافظاً على عهده حتى وهو يرى ابنه يذبح أمامه.

وقد أقر الإسلام هذا الخلق الكريم ونزل به قرآنا يتلى ممتدحا أهله "والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ". **الملحد طبعا ربما يرى بأن جميع هؤلاء الأشخاص أغبياء، فالشخص القادر على استغلال كل فرصة تمر به بتحقيق أكبر فائدة منها يمتلك إحدى صفات الرجل الملحد حتى لو نقضا عهدا قطعه**

على نفسه، وذلك لكون نظرته آنية دنيوية، فلا يوجد حياة أخرى في نظره. فهو يستغل أي فرصة تأتي له بالنفع، حتى لو كانت هذه الفرصة على حساب الآخرين، فهو لا يؤمن بالخيانة ما دام له مصلحة من نقض العهد، فلماذا يهتم بالآخرين؟ فمبدأ الملحد: نفسي نفسي. فالعفو عن المُخطئ ومبدأ المسامحة ليس في قاموس الملحد ما دام لن يجني فائدة آنية.

*****

المشهد السادس: العمل التطوعي ومساعدة الغير أم الأنانية وحب الذات

الشخص الأناني شخص غير محبوب، لذا أن يمتلك الرجل صفة الاهتمام بالغير، فهي صفةٌ تجعله أمام الناس شخصاً مثالياً، بالإضافة إلى اللطف في التعامل مع من لا يعرفهم. ويعرف التطوع بأنه "الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه للإسهام في تحمل مسؤولية المؤسسة التي تعمل على تقديم الرعاية الاجتماعية"، كما يعرف أيضا بأنه «بذل مالي أو عيني أو بدني أو فكري يقدمه الإنسان عن رضا وقناعة، بدافع من دينه، بدون مقابل بقصد الإسهام في مصالح معتبرة، يحتاج إليها قطاع من الناس».

وفي بعض الدول كسويسرا مثلاً يعتبر التطوع إلزامياً للذين لا تنطبق عليهم شروط الخدمة العسكرية ممن هم في سن 20-60 سنة. والمتطوع هو الشخص الذي يسخر نفسه عن طواعية ودون إكراه أو ضغوط خارجية لمساعدة ومؤازرة الآخرين بقصد القيام بعمل يتطلب الجهد وتعدد القوى في اتجاه واحد، ويسعى العمل التطوعي لخلق روح انسانية تعاونية بين أفراد المجتمع الواحد والمجتمعات المختلفة. وقد قال فكتور هوغو: القوي هو من يرعى الضعفاء.

في القرن التاسع عشر قامت الولايات المتحدة بتجربة (Great Awakening). في البداية بدأ الشباب بمساعدة المحتاجين في مجتمعاتهم. في عام 1851 م تأسست أول جمعية الشبان المسيحيين YMCA في الولايات المتحدة الأمريكية تبعتها بعد سبع سنوات أول مؤسسة YWCA. أثناء الحرب الأهلية الأمريكية تطوعت النساء بوقتهن لخياطة جروح الجنود وأيضاً كلارا بارتون Clara Barton " ملاك ساحة المعركة " وفريق من المتطوعين قاموا بتزويد الجنود المعونة. قامت كلارا بارتون بتأسيس الجمعية الصليب الأحمر الأمريكي عام 1881 وبدأت بعمليات الإغاثة وتشمل إغاثة ضحايا فيضان جونستاون (Johnstown Flood) عام 1889. في القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين نشأت مؤسسة " جيش الخلاص " Salvation Army وهي أحد أقدم المنظمات وأكبرها التي تقوم بمساعدة الأشخاص المحتاجين. وعلى الرغم من أنها منظمة خيرية إلا أنها نظمت عدد من البرامج التطوعية خلال ابتداء هذه المنظمة. قبل القرن التاسع عشر وجدت بعض من المنظمات الخيرية لمساعدة الأشخاص المحتاجين. تأسست العديد من المنظمات التطوعية في العقود الأولى من القرن العشرين ومنها منظمة الروتاري الدولي Rotary International ومنظمة كيوانس العالمية Kiwanis International وجمعية صغار بطولات الدوري العالمية Association of Junior Leagues International ومنظمة نوادي ليونز الدولية Lions Clubs International. في أزمة الكساد الكبير (The Great Depression) أحد الجهود الواسعة النطاق بتنسيق العمل التطوعي لحاجات محددة على مستوى الأمة.

أثناء الحرب العالمية الثانية الآلاف من المكاتب المتطوعة قامت بالإشراف على المتطوعين الذين قاموا بالمساعدة بالاحتياجات العسكرية والجبهة الداخلية وذلك يتضمن جمع الإمدادات والترفيه للجنود والاهتمام بالجرحى. بعد الحرب العالمية الثانية حول الأشخاص التركيز على مشاعر الإيثار إلى مجالات أخرى، بما في ذلك مساعدة الفقراء والعمل التطوعي في

جميع الأرجاء. في عام 1960 ميلادية كانت فرق السلام من أحد التطورات في الولايات المتحدة، عندما قام الرئيس ليندون جونسون بالتصريح عن حرب في عام 1964 ميلادية بدأت فرص التطوع بالتوسع واستمرت لعدد من العقود. أصبحت عملية إيجاد عن عمل تطوعي أكثر جدية، بتواجد العديد من مراكز التطوع بدأت بتأسيس طرق جديدة لإيجاد فرص العمل التطوعي ظاهرة على شبكة الإنترنت.

أما الإسلام فقد حث منذ بدايته، قبل أكثر من أربعة عشر قرنا، على التطوع ويجازى من يفعل الخير مهما قل ثوابا عظيما، فيقول الله في القرآن (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا وأعظم أجرا) وأيضا: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره) وهناك الكثير من الأحاديث التي تحث على التطوع ومساعدة الناس ومنها أن رجل جاء إلى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ واي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال :(أحب الناس إلى الله انفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله عز وجل، سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه دينًا، أو يطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب اليّ من اعتكف في هذا المسجد (أي مسجد المدينة) شهرًا ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن

مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام، وان سوء الخلق يفسد العمل.. كما يفسد الخل العسل).

أما الملحد فلا يؤمن بالعمل التطوعي لاعتقاده تفاهة هذا العمل إن لم يكن يدر عليه بمصلحة دنيوية آنية، حيث أنه لا يؤمن إلا بحياة واحدة، فلا وجود لحياة بعد الموت يسترد فيها ما بذله للآخرين من أجر. فمبدأ الملحد مبني على الأنانية المطلقة: نفسي نفسي.

وربما الكثير من الناس يعرف قصة موسى عندما ورد ماء مدين (في سورة القصص): (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ). فثار موسى، وتحركت فيه عوامل الشَّهامة والرجولة، وسقى لهما، وأدلى بدلوه بين دلاء الرجال حتى شربت ماشيتهما.

لو فكر موسى كما يفكر الملحد لما أجهد نفسه بمساعدة الآخرين ومزاحمة الرعاة دون مقابل، ولكفى نفسه عناء السقاية تحت أشعة الشمس الحارقة لفتاتين لا يرجو منهما جزاء ولا شكورا، بل انصرف بعد ذلك إلى الظل، فالملحد ليس لديه ما يسمى الشهامة أو مساعدة الغير.

*****

المشهد السابع: الظلم أم العدل

يمكن تعريف الظلم باختصار بأنه (أخذ حق الغير، رجلا كان هذا الغير أو امرأة)، سوءَ أخذ المال، أو أخذ الجهد، أو الاعتداء على دم أو عرض أو مال الآخرين. ويمكن تعريف صفات الشّهامة والنّخوة بأنها الصفة التي تأبى على المرء إلاّ نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف. وأحب الناس على مر العصور العدلَ والعادلين، وكرهوا الظلم والظالمين، وإذا ما استنصر الشهمَ أحدٌ مظلوم رأيته هبّ لنصرته دون تردّد أو تلكّؤ. وجميع الحضارات قد ذمت الظلم وحذرت من عواقبه، وجاء الإسلام بنصوص صريحة محذرا من الظلم (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ...) (واتقوا دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب، ...). وقد قال فكتور هوغو: القوي هو من يرعى الضعفاء.

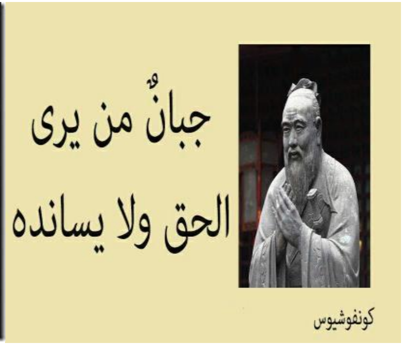

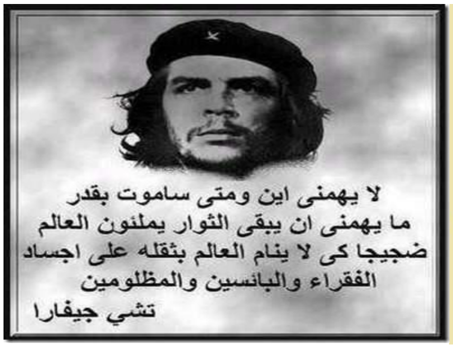

*****

المشهد الثامن: الحِلم أم الغضب

على الرغم مما عرف عن بعض الشعوب من شدة الانفعال، وفورة الأعصاب، فقد غلب على سادتهم وأشرافهم وعقلائهم صفة الحلم، فكانوا يمثلون صوت العقل والحكمة، يبثون الأمن والطمأنينة فيمن حولهم، فقد سعوا بين الناس بالسلم والود، وأطفئوا نيرانا للحرب، وانهوا خلافات وصراعات بين القبائل، وحقنوا الدماء، وتحملوا الديات سعيا لوحدة قبائلهم، ولم شملها، وتوحيد كلمتها.

وكان من أشهر حكماء العرب الاحنف بن قيس صاحب المقولة الشهيرة "سيد القوم خادمهم". أي الساعي في خدمة أبناء قبيلته، ولما سئل بماذا سدت قومك قال: بثلاث خلال، بذل الندى، وكف الأذى، ونصرة المولى، وقال أيضا: تعلمت الحلم من قيس بن عاصم الذي جاءه خبر قتل ابنه، فلما جاءوا بالقاتل، أقبل عليه وقال لمن حوله: أرعبتم الفتى، ثم دنا منه وقال: يا بنى لقد نقصت عددك وأوهنت ركنك وفتت في عضدك، وأشمتّ عدوك وأسأت لقومك، ثم أمر أن يخلو سبيله وما حل حبوته ولا تغير وجهه. **فالحلم يتطلب منح الآخرين فرصة من الوقت دون مقابل، أما الملحد فليس في قاموسه منح الآخرين جزءً من وقته أو ماله أو دمه دون مقابل.**

*****

المشهد التاسع: الصَّبر أم القلق

الصبر في المفهوم العام ببساطة هو الحبس والمنع، وهو حبس النفس عن الجزع، واثبت العلم الحديث ان للصبر فوائد جمة. تُعَدّ الظروف المعيشيّة للعرب في شبه الجزيرة العربيّة ظروفاً قاسيةً، وهذا ما وَلّد فيهم قوّةً وصَبْراً على تحمُّلِ مختلفِ المصاعبِ التي قد يواجهونها، كالجوع، والسفرِ الطويل، وغيرها. وللصبر أشكال وصور منها:

- ضبط النفس عن الطمع لدى مثيرات الطمع فيها.
- ضبط النفس عن الضجر والجزع عند حلول المصائب ومس المكاره.
- ضبط النفس عن الخوف لدى مثيرات الخوف في النفس.
- ضبط النفس لتحمل المتاعب والمشقات والآلام الجسدية والنفسية.
- ضبط النفس عن الاندفاع وراء أهوائها وشهواتها وغرائزها.

معظمها إن لم يكن جميعها لا تتوفر في الملحد حيث لا يؤمن بالدار الآخرة، والجزاء والعقاب بعد الموت كي ينأى بنفسه عن الطمع، وسيبقى خائفا من كل ما يثير الخوف في النفس ولن يصبر على المشقة والآلام الجسدية والنفسية، ولن يضبط نفسه عن الاندفاع وراء هواها وشهوتها وغرائزها الذاتية ما ضمن سلامته من تبعاتها، فهو أشد الناس على حياة.

عندما قدم سويد بن الحارث الأزدي رئيساً على وفد قبيلته لتعلن إسلامها، وسأله نبي الإسلام عن خلق قومه في الجاهلية فقال: "أما الخمس التي تخلقنا بها في الجاهلية فهي الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والصبر في مواطن اللقاء، والرضا بمر القضاء والصبر على شماتة الأعداء" فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم "حُكما علماء كادوا من صدقهم أن يكونوا

أنبياء". **أما الملحد، فهو متذمرٌ عند المصيبة، فهو لا يرجو أجرا أو ثوابا على الصبر، فصبره إجباري كوني.**

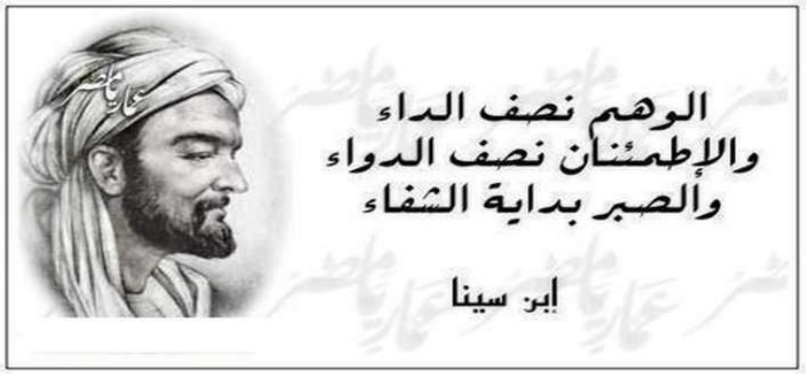

*****

المشهد العاشر: بر الوالدين أم بر الذات

أيضاً من صفات السابقين احترام كبير السن فلا ينادونه باسمه، وإنما بكنيته ويبادرونه بالتحية، وفي مجالسهم يقوم القاعد للقادم، ويوجه له التحية لاسيما إذا كان كبيراً في السن أو شريفاً وله منزلة. وبر الوالدين من أعظم الصفات الحميدة التي تميز الإنسان عن الحيوان.

لكن لو كان لدي حياة واحدة، فمن الغباء عندي كملحد صرفها لأشخاص لا أرجو منهم أي فائدة خلال حياتي المستقبلية. فإذا كنت ملحدا، وأؤمن بأن لدي حياة واحدة فقط، فيجب أن أستغل كل لحظة فيها لمنفعتي المباشرة الآنية، فقد كبرت وبدأت الاعتماد على نفسي وانتهت حاجتي لأمي وأبي فلا أريد التفريط بأي لحظة من حياتي إلا على نفسي، لا أريد استهلاكها في مساعدة أمي أو مساعدة أبي، فمن سيحاسبني على هذا التصرف الذي يسميه البعض نذالة. **نعم الملحد لا يهمه ما تتهمه به من نذالة، فليس لدي سوى حياة واحدة لا أريد تفويت أي لحظة منها، فيا حياة ما بعدك حياة، فلا احترام إلا لنفسي ولا برّ لمن لا ينفعني.**

*****

المشهد الحادي عشر: إيثار أم أنانية ..تواضع أم استعلاء!

اَلْإِيثَارُ هو تفضيل الغير عن النفس، وتقديم مصلحتهِ علَى المصلحة الذاتية، وهو أَعلى درجات السخاء وأَكْمَلُ أنْواعِ الجود وَمنزلة عظيمة من مَنازلِ العطاء. والإيثَار لغةً: مصدر آثر يُؤْثِر إيثَارًا، بمعنى التَّقديم والاختيار والاختصاص، فآثره إيثارًا اختاره وفضله، ويقال: آثره على نفسه، والشيء بالشيء خصه به. والإيثَار اصطلاحًا: (أن يقدِّم غيره على نفسه في النَّفع له، والدَّفع عنه، وهو النِّهاية في الأخوة).

أما الأنانية أو الغرورية أو الاستعلاء هي النزعة لتبني آراء إيجابية حول الذات، وتعزيزها. ويتضمن عادةً رأيًا محابيًا للذات بشأن السمات والأهمية الذاتية، سواء من الناحية العقلية أو البدنية أو الاجتماعية أو غيرها. ترتبط الغرورية ارتباطًا وثيقًا بـ "حب المرء لذاته" أو النرجسية - ويرى البعض بالتأكيد أنه "عند ذكر الغرورية، يرد بالذهن صورة النرجسية الاجتماعية". ولدى الشخصيات المتسمة بالغرورية نزعة قوية للتحدث عن أنفسهم بأسلوب معزز للذات، وقد يتسمون أيضًا بالتعجرف والتفاخر، مع شعور بالعظمة فيما يتعلق بأهميتهم. وتؤدي عدم قدرتهم على الاعتراف بإنجازات الآخرين إلى زيادة مبالغتهم في تقدير الذات؛ بينما حساسيتهم من النقد قد تؤدي بهم إلى حالة من الغضب النرجسي عند شعورهم بالإهانة.

تختلف الغرورية عن الإيثار - أو العمل على اكتساب عدد أقل من القيم من التي يتم الحصول عليها - وعن الأنانية، والتي تشير إلى السعي المتواصل لتحقيق المصلحة الذاتية. وقد تتفق صور عملية عديدة من الأنانية مع الغرورية، لكنها لا تتضمن بالضرورة شعورًا بعظمة الذات.

والشخص المغرور يكون لديه شعور غامر بمركزية الذات: أي بسماته الشخصية. وتعني الغرورية أن يجعل الإنسان من ذاته مركزًا لعالمه دون الاهتمام بالآخرين، بما في ذلك من يحبهم أو يعتبرهم "مقربين"، إلا في

الإطار الذي يحدده هذا الشخص. **جميع هذا المصطلحات والمبادئ الجميلة لا يؤمن بها الملحد، فهو مغرورٌ بذاته مؤثرٌ نفسه، حيث أن مبدأ الملحد: نفسي أولى.**

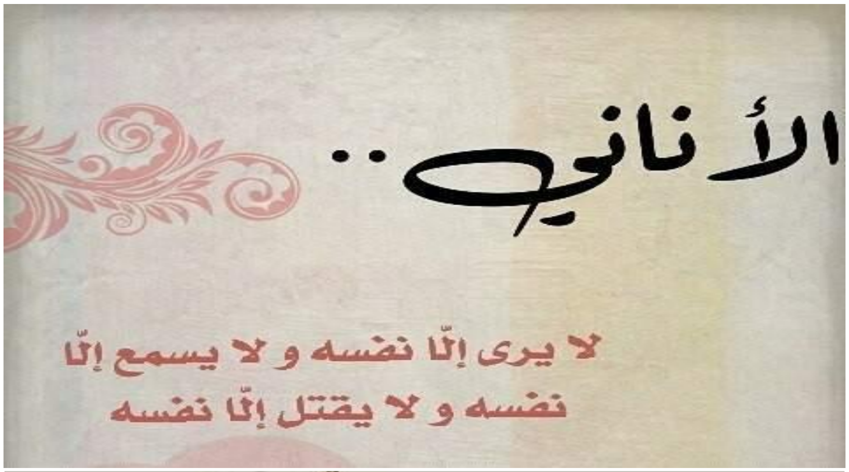

*****

المشهد الثاني عشر: العقل ذكاء أم غباء

خلق العقل للتفكر والتدبر والنظر، والذكاء يلهمك بأنك إذا وجدت كوبا من الشاي في صالة الانتظار فهذا يعني بأن هناك شخص ما قد أحضر أعد هذا الكوب ووضعه على طاولة الانتظار. عندما يرى العاقل السيارة أو الطائرة يدرك كل الإدراك بأن هناك مهندسا بارعا قام بتصميم وبناء هذه المركبات.

من يتفكر في تشريح الجسم البشري، مثلا، يجد بأنه خلق في أحسن تقويم وأكمل وجه، فكل عضو من أعضاء الجسد له مهمة محددة ودقيقة، وأي خلل فيها يخل بعمل الجسد بأكمله ويصيبه في علة ما.

كذلك من يتفكر ويتدبر في دقة نظام الكون يدرك كل الإدراك بأن هناك من بنى هذا النظام بدقة متناهية وتكامل متسق، إذن لابد من وجود صانع لهذا الكون أتقن صنعه.

عندما تنظر إلى عالم الحيوانات أو عالم الحشرات تتبين بأنها تتحرك بدقة واتساق مبرمج برمجة دقيقة.

وعندما ترى توازن الطبيعة تدرك بأن هذا التوازن لا يمكن أن يأتي صدفة، بل هناك سرٌ خفي ومعادلة دقيقة تحكم جميع حركاته وسكناته. يدرك

الملحد جانبا واحدا من هذه الحياة، وهو أنه يجب أن يأكل كي يعيش ويعيش كي يأكل. فهذا العقل المتفكر المتدبر لما يدور حوله في هذا الكون المنتظم غير موجود عند الملحد. وعندما تحاور الملحد أو تجادله في مثل هذه الأمور، تبدأ لديه ظهور تشنجات عقلية، فهو لا يرغب، وربما لا يستطيع، تجاوز دائرة الحس، مما يجعله متعصباً لرأيه، متحجرا في تفكيره، قال أرسطو: (العقل الضيق يقود دائما إلى التعصب).

أي أن الملحد لا التفكير ولا التفكر، ونصيبه من الذكاء هو فقط كيف يحصل على ما يهواه من طعامٍ أو شهوة جنسية، فهي نهاية المطاف لديه. **فالملحد يوهم نفسه بأنه ذكي وذو عقلِ متفتح، والواقع هو أنه على النقيض من ذلك، ليس ذكيا وذو عقل مغلق ومحدود. فلو كان ذكيا لأوصله ذكاؤه إلى سر هذا الكون ونظامه الدقيق، ولسوف قاده ذكاؤه إلى أن هناك شخصٌ ما قد أعد وأحضر كوب الشاي الموجود على المنضدة.**

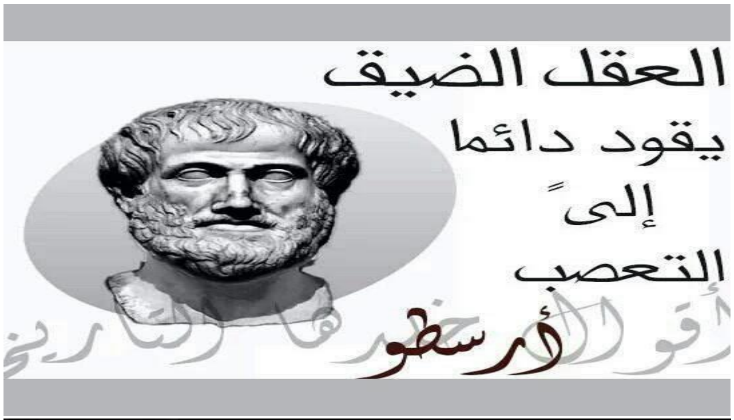

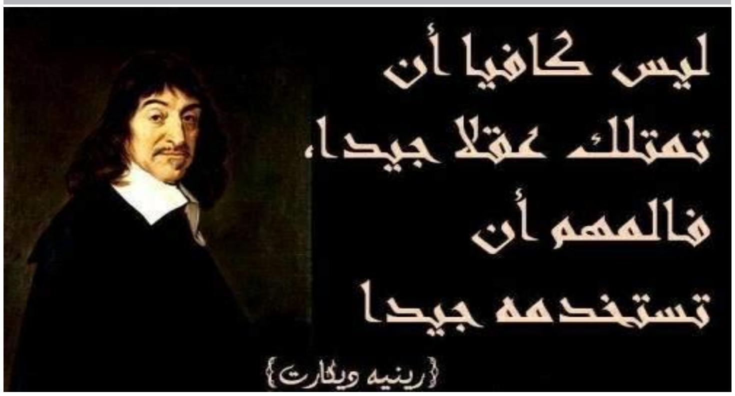

*****

المشهد الأخير: ختام القول

في نهاية المطاف، وفي نهاية هذه المسرحية القصيرة، تختصر المشاهد المذكورة الكثير من العناء للملحد المخلص ... الملحد المحتار ... فانظر أي من الصفات المذكورة تنطبق على شخصيتك... وأيها لا تنطبق:

الملحد الصادق: ليس صادقا إن كان الكذب ينفعه

الملحد الحقيقي: أبخل من البخيل، إن كان الكرم لا يأتيه بنفع

الملحد الحقيقي: عديم الأخلاق الحميدة، فهي لا توافق شهوته

الملحد الحقيقي: جبان، فالشجاعة قد تودي بحياته الفريدة

الملحد الحقيقي: لا يؤمن بالوفاء، فالخيانة ديدنه

الملحد الحقيقي: أبخل من البخيل، فالكرم لا ينفعه

الملحد الحقيقي: أناني، فهو لا يحب إلا نفسه وذاته

الملحد الحقيقي: سريع الغضب، فالحلم لا يخدمه

الملحد الحقيقي: كثير القلق، حيث الصبر لا يسمن ولا يغني من جوع عنده

الملحد الحقيقي: عاق لوالديه، فخدمتهما لا تنفعه في حياته

الملحد الحقيقي: متكبر، فهو لا يؤمن إلا بذاته

الملحد الذكي: غبي، ما دام العقل لم يخدمه لمعرفة الحقيقة

مما سبق ستستنتج أن الملحد الحقيقي ليس له مكان في هذا الكون المملوء بالرحمة والمودة بين الناس، فالناس لا يحبونه ولا يحبون التعرف عليه أو التعامل معه... حيث يحمل هذه الصفات الشخصية... إن كنت تنكر وجود هذه الصفات أو بعضها في شخصيتك، فإلحادك وهمي ... ليس حقيقي.

أما الملحد الباحث عن الحقيقة ... الملحد الموهوب عقلا وذكاءَ وتفكرا، سيقوده عقله إلى البحث عن حقيقة هذا النظام الكوني الدقيق ...

المحكم في كل أمر صغير وأمر عظيم، عن حقيقة وجود صانع لهذا الجسم المعقد، جسم الإنسان ... عن وجود صانع حكيم لهذه المملكات الحيوانية والنباتية الدقيقة ... وفي النمل آيات تدل على خالق لها ... وللكون والكواكب والنجوم والمجرات صانع ومتقن لنظامها ... مانعا لهذا النظام من الانهيار ... في النحل آيات بينات ... وفي أنفسكم أفلا تبصرون ... نعم فيك أنت أيها الإنسان الملحد آيات تدل على الخالق صنع جسدك وخلق روحك وشعورك وأنظمتك الطبيعية الدقيقة... خلق لك عقلا تفكر فيه، وقلبا يغذي جميع خلايا الجسد بالدم، وجهازا هضميا يمر به الطعام فتتم معالجته بأدق مكوناته، جهازا عصبيا يحتوي على حساسات موزعة في جميع أجزاء الجسم، كبدا ... كليتين ... عينين ترى بهما الأشياء ... أذنين تسمع ما حولك ... أنف تشم به الروائح ... أسنان تقضم بها ما يدخل فاك ... يدان ورجلان ... جلدا يلم كل هذه الأشياء ويحميها من الخارج ... نجومُ تزهر ... وبحارُ تزخر ... وليلٌ داج ... وسماءٌ ذات أبراج ... فعلل الأفهام أشد من علل الأجسام.

نعم ... لم تخلق أخي الملحد عبثا ... فللكون خالق قوي ... عزيز ... حكيم خلقك لحكمة بالغة... غفورٌ لمن تاب وآمن... رحيم بعباده الضعفاء ... شديد العقاب للظالمين المتكبرين... (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ... وأنكم إلينا لا ترجعون!!) ... (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) ... نعم خلقك خالق وطلب منك عبادته واتباع أوامره واجتناب نواهيه ... وهو أعلم بما ينفعك وبما يضرك... (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ... ما أريد منهم من رزقٍ ... وما أريد أن يطعمون ... إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ... إن في السماء لخبرا ... وإن في الأرضِ لعبرا.. آياتٌ محكمات..

قف معي هاهنا لحظات ... وتفكر، وأطلق عنان تفكيرك في حقائق ما حولك وتدبّر، وانظر إلى ماذا يقودك إلحادك ولا تتكبّر، واختر لك الطريق الصحيح طريق العقل السليم والمنطق الصحيح، ودع عنك الحيرة والتفكير الضيق المحدود... فهل ستكون مسرورا إذا تم وصفك بذي الوجهين، وهل ستكون سعيدا إذا وصفت بالبخل الفطري ولم يكن عندك أخلاق حميدة ...

ووصفت بالجبن ... والخيانة ... وأدبرت عن العمل التطوعي ومساعدة الآخرين ... هل سيهمك وجود الظلم ما دمت سالما ... وهل ستعيش في قلق على فوات الملذات ... هل ستعرف يوما ما معنى البر بالوالدين أم فقط ستعرف بر الذات الملحدة ... هل سيكون لديك تعريف للإيثار، أم ستظل أنانيا ما حييت ... هل أنت مستعد لقبول وحمل جميع هذه الصفات السيئة طيلة حياتك، أم ستعيد النظر بكل شجاعة للتفكير في معنى كونك ملحدا... وهل ... وهل ... وهل ... وهل سيكون لديك إجابات على جميع هذه التساؤلات الصعبة ... السهلة؟ سأل ملحدٌ الشيخَ أحمد ديدات: ما هو شعورك لو مُت واكتشفت أن الآخرة كذب؟ فقال له: ليس أسوأ من شعورك إذا مُت واكتشفت أن الآخرة حقيقة...!!!

قال أحد الحكماء: (قمة الضعف حين تكاد الوصول إلى الحقيقة، فتتوقف خوفا من مواجهتها.)

فاختر لنفسك طريقا صحيحا يزيل حيرتك.

للاقتراحات والملاحظات، يمكن التواصل مع

المؤلف عبر الإيميل التالي:

saherdabo@gmail.com